شهريات

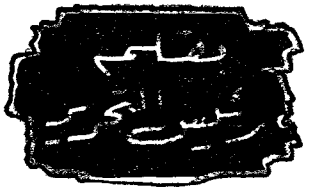

حذار تلك النزعة !..

قمت في الشهر الماضي بزيارة القاهرة للمشاركة في الدورة الثانية عشرة للمكتب الدائم لكتاب آسيا وافريقيا .
وقد لقيت في عاصمة مصر العربية ، بعد انقطاع يقارب العام ، كثيرا من الاصدقاء والادباء الذين أحبهم وأحترمهم ، وكان على رأسهم ادباؤنا الكبار توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ولويس عوض وزكي نجيب محمود وحسين فوزي الذين زرتهم في جريدة « الاهرام » برفقة صديقي الشاعر حبيب صادق امين سر اتحاد الكتاب اللبنانيين الذي حضر معي جلسات المكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسيويين .

وفي لقاء « الاهرام » حدثنا الاستاذ توفيق الحكيم عن ندوة هامة ستعقد قريبا كان الاستاذ محمد حسنين هيكل، قبل خروجه من « الاهرام » قد تبنى الدعوة اليها ، استجابة لرأي سجله توفيق الحكيم في الشهر الماضي ، واقترح فيه مشروعا أطلق عليه اسم « مشروع التعميـر الحضاري » .

وشرح لنا الحكيم رأيه هذا بما نلخصه هنا :

لقد اعترفت اوروبا اخيرا بما للعرب من تأثير اقتصادي عليها ، لا سيما بعد حرب اكتوبر التي شهر فيها العرب ، الى جانب السلاح العسكري ، سلاح البترول . واوروبا تعامل العرب اليوم ، على هذا الصعيد ، معاملة الند للند ، بعد ان كانت تعاملهم ابدا معاملة السيد للعبد . ولكننا نشعران قصر هذه المعاملة على الميدان الاقتصادي فيه افتئات علينا كشعوب ذات ثروات حضارية كبيرة . فينبغي ان نعمل الان لحمل اوروبا على الاعتراف بتراثنا الحضاري هذا ، لا سيما ذلك الموروث من التاريخ القديم كالحضارة الفرعونية والحضارة الفينيقية وحضارة بلاد ما بين النهرين الخ ...

ثم التفت الاستاذ الحكيم الي يتساءل :

ـ لماذا نجد بعضكم في لبنان مثلا يتنكرون للحضارة الفينيقية وهي ذات أثر كبير في تاريخ لبنان ؟

فأجبته قائلا :

ـ لسنا من الذين يتنكرون لاي جزء من تاريخنا الحضاري . بل نحن نعتز بان حضارتنا هذه حصيلة عهود تاريخية مختلفة زادتها غنى وثراء . ولكن الذي ننكره ان تكون هناك نزعات تريد ان تسقط من تاريخنا الحضاري جزءا هاما هو التاريخ العربي ، ولا تعترف الا بالحضارة الفينيقية . وهذه نزعة أشبه بالنزعة الفرعونية لدى بعض المفكرين المصريين المعاصرين . فهم يريدون ان يبعثوا الحضارة الفرعونية ولا يعترفون بسواها . هؤلاء عندكم واولئك عندنا يمسخون التاريخ حين يسقطون منه العهد العربي ويزيفون الواقع الراهن الذي هو في المقام الاول واقع عربي ...

وهنا رأينا الدكتور حسين فوزي ينتفض ويقول بلهجة حماسة غريبة :

ـ هو مين اللي بيقول ان مصر عربية ؟ مصر دي مش ارض عربية ، دي مصر وبس ... واحنا ما نوافقش انو نمحي اسم مصر ونسميها الاقليم الجنوبي زي ما حصل في الماضي ..

قلت له بهدوء :

ـ لقد تم ذلك في عهد الوحدة المصرية السورية حين اندمج البلدان في « الجمهورية العربية المتحدة » فتنازلت سوريا كذلك عن اسمها لتتخذ اسم « الاقليم الشمالي » . ولكن هل تعتقد أن « الاسم » هو كل مقومات الدولة ؟ وروح « الوحدة » وهي الارادة المشتركة ، اليست هي المقوم الاول للامة في مفهومها التاريخي والحضاري ؟

قال الدكتور حسين فوزي :

ـ عروبة مصر ليست أصيلة ، وانما هي مجرد رد فعل لقيام اسرائيل !

وتدخل الاستاذ لطفي الخولي الذي كان قد انضم الى المجتمعين ، فأدان الروح الاقليمية الضيقة التي يصدر عنها الدكتور حسين فوزي ، ثم قال لنا ان مجلة « الطليعة » التي يشرف على تحريرها ، وتصدر عن « الاهرام » ، ستدعو لعقد ندوة معاكسة لندوة « التعمير الحضاري » هذه .

واكتفيت أخيرا بان أقول معلقا :

ـ حرب تشرين التي سجلت نصرا لا شك فيه ، هل هي حرب مصرية ، ام حرب مصرية عربية ؟ وسلاح البترول الذي استخدمه العرب ، والذي يعترف الاستاذ توفيق الحكيم بأهميته الاقتصادية ، أليس هو سلاحا عربيا ؟ اوليست نظرية الدكتور فوزي هنا تصدر عن المنطلق نفسه الذي تصدر عنه النزعة الفرعونية حين تتغاضى عن الواقع الراهن والمستقبل المنشود لتعود الى الماضي الذي زال ، وان كنا نعتبره حلقة من حلقات تراثنا الحضاري ؟

هذا ما جرى في ذلك اللقاء القصير الذي اتيح لنا في مكتب الاستاذ توفيق الحكيم بجريدة « الاهرام » . وقد خرجت انا وحبيب صادق مذهولين لهذه « الردة » التي نشهدها في بعض اوساط المثقفين المصريين . ولكن عزاءنا ان هذه النزعة محصورة وضيقة ، وان اجيالا جديدة من مثقفي مصر تحمل نزعة مناقضة ، وتعمل بلا هوادة لتعميق العروبة في ارض الكنانة .

سهيل ادريس